١٦ـ العلاج التفريغي أو لعب الدور

السيكودراما

تنطوي المسرحية عادة على عدد من الأدوار والشخصيات في مواقف متنوعة يكثر أن تضم صراعات عنيفة بين قوى مختلفة، والمشارك بالتمثيل على المسرح يأخذ على نفسه دوراً، أو شخصية، ويحاول أن يتمثله تمثلاً قوياً. وأن يعكس في أفعاله وأقواله وحركاته على المسرح ما ينطوي عليه الدور، وما تكنه الشخصية التي يمثلها. ويعني ذلك أنه يكشف في أشكال من السلوك الظاهر ما تنطوي عليه الشخصية في داخلها من صراعات ورغبات ومشاعر ومواقف.

من هذا المعنى للتمثيل المسرحي، ومن هذه الخصائص تنطلق المعالجة النفسية بالتمثيل (السيكودراما) psychodrama . إنها شكل من أشكال المعالجة النفسية الجماعية، وهي تذهب إلى أن من الممكن معالجة المضطرب نفسياً بجعله يقوم بدور في مسرحية يوفر له فرصة مناسبة، من جماعة معه، وجمهور مشاهد ، تساعد على إطلاق مشاعره وصراعاته عن طريق تعبير واقعي فعلي وحركي .

يلح هذا الاتجاه في المعالجة النفسية على التلقائية spontaneity في الكشف عن المشاعر والأفكار والمواقف في إطار مسرحي يقوم فيه المتعالج بدور معين ، ويرى أن «تمثيل الدور» فرصة تبدو فيها توترات المتعالج الداخلية وصراعاته في تعبير يؤلف جزءاً من حياة يعيشها المتعالج وهو يمثل، وهي فرصة لا تساعده على الراحة والتنفيس فحسب، بل تنتهي به إلى الخلاص من التوترات الداخلية التي تضايقه.

تطور المعالجة النفسية بالتمثيل المسرحي :

يرتبط ظهور هذا الاتجاه في المعالجة النفسية باسم «مورينو» J Moreno كان مورينو يعمل في فيينا مع جماعة في التمثيل المنطلق من التلقائية المعتمد على تنوع الفعاليات المشاهدة . وقد بدأ العمل في أواسط العشرينات بالمعالجة النفسية بالتمثيل في الولايات المتحدة، ومر فيها على أشكال من التطور قبل وفاته سنة ١٩٧٤ وكان في جملة ما نتج عن موقفه الخاص من سلوك الإنسان وكيف تكشفه المواقف الاجتماعية طريقة القياس

الاجتماعي sociometry، وأصول المسرحية Axiodrama والمسرحية الاجتماعية socio-drama وتمثيل الدور Role-playing.

كان مورينو عظيم الإعجاب بالمسرحية اليونانية القديمة . وكانت تلك المسرحية مصدر إلهام له ، وكان في جملة ما قاله انه استكشف المسرحية اليونانية من جديد. وقد أخذ على فرويد ضعف عنايته بالمسرحية اليونانية ومتضمناتها العلاجية الفنية وبخاصة ما يتصل من ذلك بعملية التنفيس .

عمل مورينو كثيراً من أجل نشر اتجاهه في المعالجة النفسية ، ولكنه لم يتمكن في نهاية المطاف من دفعها إلى الصف الأول للمعالجات التي يكثر اعتمادها. ومع ذلك فقد أخذ هذا الاتجاه مكانة قيمة في الإرشاد النفسي في مجالات الأطفال والأحداث، وكذلك في مجال العمل الصناعي والعناية ببعض المشكلات الناجمة عنه لدى العاملين فيه .

الأسس والأدوات في المعالجة النفسية بالتمثيل المسرحي:

يقوم المتعالج، في هذا الشكل من المعالجة النفسية، بدور معين في مسرحية. وينطوي الدور على فعاليات وحركات، وعلى مناجاة نفسه مناجاة ترافقها التعبيرات الحركية. يتم كل ذلك في إطار مسرحي يتميز بشروطه المادية المحيطة، وفيه ممثلون آخرون، ويكمله وجود جمهور من المشاهدين . يكون في التمثيل مجال واسع لانطلاق مشاعر المتعالج ورغباته الدفينة وصراعاته ومواقفه . ويمر من خلاله على فرص تيسر له التنفيس في جو اجتماعي مناسب . ويؤدي تكرار ذلك إلى خفض تدريجي للمؤثر الداخلي القائم وراء الاضطراب النفسي مما ينجم عنه في النهاية تغلب المتعالج على اضطرابه. والأساس العميق في هذه العملية هو أن الإجراء الواقعي في التمثيل المسرحي يوفر الفرصة للعناصر اللاشعورية لأن تكون اكثر شعورية ، وأقرب إلى تناول صاحبها، وإلى وصوله تدريجياً لمستوى مناسب من الراحة والطمأنينة . ومما يدعم هذا المستوى ويعززه قيام المتعالج بدور يحقق فيه رغباته، أو يساعده على التعبير عنها، ووجود إطار اجتماعي ينطوي على شروط قبول وموافقة .

يقوم سير عملية المعالجة بالتمثيل المسرحي على خمسة أعمدة أو عناصر أساس لكل منها مكانته الخاصة .

١ - المسرح هو العنصر الأساس الأول ، وهو امتداد للحياة من جهة ، وفيه ما يتجاوزها ويذهب إلى أبعد مما فيها ، من جهة أخرى. ويبني المسرح بشكل يشعر المتعالج معه أنه مجال حياة واسع ، وأنه يتيح له الحركة في الاتجاهات التي يريدها .

٢ - العنصر الأساس الثاني هو المتعالج وما يفعله . يطلب من المتعالج أن «يكون نفسه» بكل حرية على المسرح، أن يعبر عن نفسه بكل صراحة كما يريد، وكما يشعر، وكأنه يشرك الآخرين بها . يتم تشجيع المتعالج على ذلك بوسائل متعددة يجب أن يتقنها مدير المسرحية، ويوجه المتعالج إلى الابتعاد عن فكرة التمثيل القائم على تمثيل دور أو شخصية لا يعيشها . وحين يعيش المتعالج ما يمثله، وينطلق معبراً بحرية عن نفسه، فإنه يتجه مباشرة إلى مشكلة يعاني منها، أو يناقش ما يشغل باله من مشكلات الحاضر أو المستقبل، أو يعبر عما يخيفه ويقلقه. ويبقى الإلحاح في العملية متجهاً إلى التلقائية في التعبير، وإلى الفعل والانفعال معاً، وإلى أن يعكس الفعل في تفصيلاته كل الانفعالات الضمنية في تفصيلاتها .

٣ - العنصر الأساس الثالث هو مدير المسرحية: إنه معالج نفسي متمرس، ينظم المسرحية مسبقاً، ويتدخل خلال التمثيل، ويدقق في النتائج، وينظم المسرحية بحيث تتوافر فيها أبعاد انفعالية متنوعة . ويتدخل أثناء التمثيل عن طريق الدعابة أو المازحة، أو تحدي المتعالج القائم بالتمثيل . وهو الذي يقرر مستوى هذا التدخل وإلى أية درجة يجب أن يبرز المتعالج في المسرح، وأن يسيطر عليه .

٤ - هناك أشخاص مساعدون يؤخذون من بين مساعدي المعالج ويعد كل منهم «أنا» مستقلة ومتميزة . إنهم يشاركون في التمثيل، ويقومون بالأدوار الأخرى اللازمة في المسرحية. وهي أدوار تلزم في سير المسرحية وتحريض المتعالج القائم بدوره، وهم يمثلون أشخاصاً في عالمه الخاص. وبينهم من يمثل «المثل العليا» ، لدى المتعالج، ومن يمثل **أهلاسه**

أو الأشخاص الغائبين . إنهم يحققون شروط امتداد جهة المعالج ليشمل توفير كل ما يحتاج إليه المتعالج ليكون موقفه المسرحي متكاملاً، عاكساً حياة تنطوي على كل العناصر التي ترتبط بها رغباته ومشاعره وأفكاره ومواقفه. وهم كذلك يوفرون الشروط المناسبة للمتعالج حين يتجه نحو عكس الدور الذي يقوم به. كأن يغدو الابن وغيره الأب بعد أن كان هو الأب وغيره هو الابن .

٥ - يكون المشاهدون العنصر الأساس الخامس، ويكون وجودهم أساساً في سير عملية المعالجة . يتألف مجتمع المشاهدين من الذكور، والإناث ، ويكون وجودهم قاعدة ودعماً في الاستجابات التلقائية للمتعالج، وتكون موافقاتهم على ما يقوم به، ويظهر في تمثيله، هي القاعدة والأساس من اطمئنانه وشعوره براحة من قبله .

تتعاون هذه العناصر الخمسة في إنجاز أغراض المعالجة، وفي جملة ما يراه مورينو، أن هذه الطريقة لا تكون مناسبة في معالجة الأشخاص الذين يجدون صعوبة في الكلام فحسب، ولا تقف عند توفير الفرصة للدخول إلى أجواء في المتعالج لا تدخلها الطرائق الأخرى، بل إنها تتجاوز ذلك إلى حد كبير، وتصل إلى إنجازات علاجية مثمرة مع أشكال متنوعة من الاضطرابات النفسية . [1]

(١) الرفاعي، نعيم . العيادة النفسية والعلاج النفسي، الجزء الثاني، مطبعة دار الكتاب دمشق ١٩٩٠ م (ص١٨٦- ١٩٠).